مجلّة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية/المجلد السابع-العدد الثاني (ديسمبر2023م) [123-148]
قسم العلوم الإسلامية / جامعة غرداية / الجزائر
E-ISSN : 2588-1728 / P-ISSN : 2602-7518
http://eddakhira.univ-ghardaia.dz

غزوة ألفونسو المحارب الكبرى للأندلس أسبابها ونتائجها

519-520هـ/1125-1126م

Alfonso the Warrior's great invasion to Andalusia
Its Causes and Results
519-520 AH / 1125-1126 AD

أ.د. خالد حموم

prof: Khaled Hammoum

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 – الجزائر

k.hammoum@univ-setif2.dz

تاريخ الإرسال: 2023/09/05م **تاريخ القبول: 2023/12/31م**

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الأسباب، الوقائع والنتائج التي تمخضت عن الغزوة الكبرى لملك أراغون ألفونسو المحارب للأندلس، هذه الغزوة التي بدأت أواخر سنة 519هـ/1125م واستمرت لعدة أشهر، وشملت مدن شرق الأندلس وجنوبه، والتي عاث فيها ألفونسو فسادًا. وأتطرق في هذه الدراسة للحديث عن أسباب الغزوة، وقائعها والنتائج التي تمخضت عنها، وأسعى للإجابة على الإشكالية التالية: ما هي انعكاسات هذه الغزوة على المسلمين في الأندلس؟ واتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي، السردي والتحليلي، وتوصلت للعديد من النتائج أهمها عدم تحقيق ألفونسو لهدفه الرئيسي من هذه الغزوة ألّا وهو الاستيلاء على مدينة غرناطة.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، غرناطة، أراغون، حروب الاسترداد، النصارى المعاهدون، ألفونسو المحارب، المرابطون.

Abstract

This study aims to highlight the reasons, facts and results that resulted from the great invasion of Andalusia by the Aragonese king Alfonso the Warrior, This invasion, which began in the late year 519 AH/1125 AD and continued for several months, included the cities of eastern and southern Andalusia, in which Alfonso wreaked havoc. In

this study, I talk about the causes of the invasion, its facts and the results that resulted from it, and I seek to answer the following problem: What are the repercussions of this invasion on the Muslims in Andalusia? In this research, I followed the descriptive, narrative and analytical approach, and reached many results, the most important of which is that Alfonso did not achieve his main goal in this invasion, which was to seize the city of Granada.

Keywords: Andalusia, Granada, Aragon, the Wars of Reconquista, the Covenant Christians (Los Mozarabes), Alfonso the Warrior, Almoravids.

مقدمة:

رغم أنَّ الأمير المرابطي علي بن يوسف انتهج سبيل والده يوسف بن تاشفين والمتمثل في التَّصدي لحروب الاسترداد في الأندلس، إذ حقَّق انتصارات مدوية على الممالك النصرانية مثل نصر أُقليش سنة 501هـ/1108م واسترجاع سرقسطة سنة 503هـ/1110م وغيرهما، إلَّا أنَّ غزوات النصارى لم تخمد بصفة نهائية، وتعود في كل مرة، منها هذه الغزوة بقيادة ملك أراغون ألفونسو المحارب.

هذه الغزوة الكبرى على الأندلس والتي كانت مدتها طويلة جدًا بلغت حوالي تسعة أشهر، حيث امتدت من أواخر سنة 519هـ/1125م إلى أوائل سنة 520هـ/1126م، شقَّ من خلالها ألفونسو المحارب مدن شرق وجنوب الأندلس كلها، وخرب معظمها.

والجدير بالذكر أنَّ المرابطين بقيادة أميرهم في الأندلس تميم بن يوسف رغم معاناتهم الشديدة من نقص العدة والعتاد الحربي، لم يقفوا موقف المتفرج وتمكنوا من التَّصدي لهذه الغزوة، ومنع ملك أراغون من تحقيق أهدافه في الاستيلاء على مدن الأندلس الشرقية منها والجنوبية خاصة غرناطة.

وأهدف من خلال هذا البحث لمعرفة أسباب الغزوة، وقائعها ونتائجها، وأحاول معالجة الإشكالية التالية: ما هي انعكاسات هذه الغزوة على المسلمين في الأندلس؟

والإجابة على مجموعة من التساؤلات أهمها: ما هي ظروف هذه الغزوة وسببها؟ ما هي أهم المعارك التي حدثت خلال هذه الغزوة؟ هل تمكن المرابطون من التَّصدي لها؟ ما هي نتائجها؟

وفيما يخص هيكل الدراسة فقد قسمت البحث إلى مقدمة، وثلاث مباحث تناولت فيها أسباب الغزوة، وقائعها والنتائج التي تمخضت عنها، وأنهيت الموضوع بخاتمة حوت أهم النتائج المتوصل إليها في البحث.

واستخدمت في هذا البحث المنهج الوصفي، وهذا بوصف المدن التي حدثت فيهم المعارك خلال هذه الغزوة، كما وظفت المنهج السردي وهذا بسرد مختلف الحقائق التاريخيَّة كما وردت في مناهلها الأصلية، واعتمدت في بعض الأحيان على المنهج التَّحليلي محاولًا تقديم تصور صحيح للوقائع التاريخيَّة التي حدثت في هذه الغزوة.

1- أسباب الغزوة:

هناك أسباب وعوامل عديدة أدت إلى قيام ملك أراغون ألفونسو المحارب[1] بهذه الغزوة المدوية على بلاد الأندلس، ويمكن تقسيمها إلى أسباب رئيسية وأخرى ثانوية، فمن الأسباب الثانوية نذكر:

1- هو (Alfonso Sánchez) المعروف باسم ألفونسو الأوَّل المحارب (Alfonso I el Batallador) خلف أخاه بيدرو الأوَّل على عرش أراغون ونافارا في سنة 498هـ/1104م، واستمر في الحكم إلى غاية وفاته سنة 528هـ/1134م، تسميه المصادر الإسلاميَّة ابن رذمير وهي الصيغة الأقرب إلى الصحة على ابن ردمير الذي ذكرته بعض المراجع الحديثة، وترجع التسمية إلى الصيغة الأصلية للاسم الجرماني لوالده (Rodumir) وقد حرفه الإسبان إلى راميرو أو راميرز (Ramirez). ضمَّ عقب وفاة حميه ألفونسو السَّادس إلى مملكته الأصلية أراغون ونافارا ميراث زوجته أوراكا المشتمل على ممالك ليون وقشتالة وأشتوريش، وعلى إمارتين جديدتين تؤديان له الضَّريبة هما جليقية والبرتغال، ولو ضمَّت إليه إمارة برشلونة لشمل حكمه جميع ممالك اسبانيا النَّصرانيَّة، كان له حماس ديني لا نظير له في محاربة المسلمين فترك لأجل ذلك حياة الترف والرخاء ليتفرغ لقتالهم. (انظر: ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار**

- ظهور التخاذل على الجيوش المرابطيَّة[1]، وتقاعسها نوعًا ما على محاربة النَّصارى في الأندلس.

- انشغال المرابطين بحروبهم في بلاد المغرب الإسلامي ضدَّ الموحِّدين[2].

- سقوط سرقسطة سنة 512هـ/1118م بيد ملك أراغون ألفونسو المحارب[3] وكذلك هزيمة المرابطين الساحقة في معركة كتندة سنة 514هـ/1120م[4]، وتوالي انتصارات ألفونسو المحارب على المرابطين.

الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبَّادي، مطبعة معهد الدِّراسات الإسلاميَّة، مدريد، 1971م، ص115-116، هامش4 ؛ مارمول كربخال: **إفريقيا**، محمَّد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، الرباط، 1984، 1/319-320 ؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ترجمة وتعليق محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996م، 1/145 وما بعدها ؛ مؤنس حسين، **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النَّصارى سنة 512هـ/1118م، مع أربع وثائق جديدة**، مكتبة الثقافة الدِّينيَّة، مصر، 1413هـ/1992م، ص22 وما بعدها ؛ سلامة محمَّد سلمان الهرفي، **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين- دراسة سياسية وحضارية**، دار النَّدوة الجديدة، بيروت، 1985م، ص217 وما بعدها).

1- عنان محمَّد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثَّالث- عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب والأندلس – القسم الأوَّل- عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990م، ص106.

2- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 1/154.

3- ابن الأبَّار، **الحُلَّة السِّيراء**، حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، 2/248 ؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المُطرِب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطِّباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص163 ؛ ابن خلدون، **العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيَّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السُّلطان الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2000م، 4/210 ؛ المقَّري، **نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، 1/441.

4- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، دار صادر للطِّباعة والنَّشر، بيروت، 1966م، 9/206 ؛ المقَّري، **نفح الطِّيب**، 4/460-461 ؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 1/153.

أمَّا السبب الرئيسي فيرجع إلى تحريض النَّصارى المعاهدين[1] لملك أراغون ألفونسو المحارب بإشعال فتيل الحرب على المسلمين في جميع بلاد الأندلس[2]، وتعهدوا بإمداده بما وسعوا من ضروب الإمداد والعون[3].

وكان أشد طوائف المعاهدين نشاطًا في تدبير هذه المؤامرة الكبرى على مسلمي الأندلس نصارى مدينة غرناطة، وكانوا من أكبر طوائف المعاهدين عددًا[1]، وأغناهم

1- النَّصارى المعاهدون أو المعاهدون فقط، هم نصارى الأندلس الذين يعيشون في الأراضي الإسلاميَّة، ويخضعون للحكم الإسلامي، ويُسمون بالإسبانيَّة (Los Mozarabes) بالاشتقاق من كلمة مستعربين على ما يظهر، وسموا بذلك بسبب المعاهدات التي عقدها المسلمون الفاتحون معهم، وسمح لهم فيها بأن يحتفظوا بدينهم وشرائعهم نظير دفع الجزية، وهم ينتشرون في كافة مدن الأندلس بالخصوص غرناطة، وقد عاش هؤلاء في أمن وسلام في ظل الحكومات الإسلاميَّة المتعاقبة من فتح الأندلس إلى عهد المرابطين، ورغم ذلك ظهرت من هؤلاء أعمال الخيانة والغدر والتآمر على المسلمين. وقد حاول المستشرقون خاصةً رينهرت دوزي التَّحامل على المرابطين وفقهائهم الذين اتهموهم باضطهاد النَّصارى المعاهدين، وممارسة كل أنواع الظلم والتَّضيِّق عليهم، ونرد عليهم بما قاله زميلهم المستشرق أشباخ حيث ذكر أنَّ النَّصارى المعاهدون كان لهم مركز لا بأس به في المجتمع الأندلسي، وكانوا أحرارًا في إقامة شعائرهم الدِّينيَّة والاحتكام إلى قضاتهم وفقًا للشرائع القوطيَّة. (انظر: مجهول، **الحُلل الموشيَّة في ذكر الأخبار المرَّاكشيَّة**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرَّشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م، ص90 وما بعدها ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حقَّق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1975م، **1**/106 وما بعدها ؛ **المسلمون في الأندلس**، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، مصر، 1995م، **3**/162-163 ؛ **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 1/153- 154 ؛ عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص105 وما بعدها).

2- يذكر أشباخ أنَّ النَّصارى المعاهدين لم يكن في وسعهم أن يقوموا بحرب المسلمين دون معاونة من أبناء ملتهم، ذلك أنَّ القلاع كلها كانت في يد المسلمين، هذا فضلًا عن تفرقهم في مختلف الأنحاء، ولم يكن في وسعهم أن يتحدوا إلَّا إذا شغل المسلمون بحروبهم الدَّاخليَّة. (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 1/154).

3- **الحُلل الموشيَّة**، ص91 ؛ عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص106.

مالًا، وأكثرهم ازدهارًا ومقدرةً ونفوذًا[2]، وكانوا بذلك السباقين لطلب العون من ألفونسو المحارب في سنة 519هـ/1125م وهذا لتنفيذ مخططهم للاستيلاء على غرناطة وطرد المسلمين منها ومن سائر بلاد الأندلس[3]، وقد راسلوه وتوالت عليه كتبهم[4]، ولكنه ترددا في قبول المشروع نظرًا لبعد غرناطة عن مملكة أراغون فالطريق إليها محفوف بالمخاطر لأنَّه يمر على العديد من المدن والحصون والقلاع المرابطيَّة، وكذلك لعدم اطمئنانه إلى الوعود التي قطعها له نصارى غرناطة والمتمثلة في أنَّهم يجعلونه سيدهم ومليكهم، وأنَّه سوف يغنم بافتتاح غرناطة، أجمل وأخصب وأسعد البقاع[5] فكرروا السعي والرجاء ووجهوا له كتابًا يشتمل على اثنا عشر ألفًا من أسماء الجنود المستعدين لمؤازرته في حربه هذه على المرابطين، وأخبروه أنَّ هناك أعدادًا أخرى من الجند مستعدةً للالتحاق به عند ظهوره وشروعه في الحرب[6].

كما تعهدوا أن يعاونوه بالنُّصح والعمل كمرشدين ومحاربين، وشرحوا له أحوال قلاع ومدن الأندلس شرحًا وافيًا[7]، بالخصوص مدينة غرناطة حيث ذكروا له أوصافها وما تحويه من ثروات ومحاصيل زراعية هامَّة، مثل القمح والشعير والكروم

1- كان النَّصارى المعاهدون في كثير من الجهات ببلاد الأندلس لا يزيدون عن فئات صغيرة لكنهم كانوا يؤلفون جمهرةً كبيرة عن سكان غرناطة. (انظر: **المسلمون في الأندلس**، 162/3).

2- عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص106.

3- يدعي المستشرق دوزي أنَّ الفقهاء المرابطين كبدوا النَّصارى المعاهدين المشاق البالغة، ممَّا دفعهم في النِّهاية للتوسل إلى ملك أراغون بالمجيء لتخليصهم من نير التعصب الذي يواجهونه، فاستجاب لتوسلاتهم. (انظر: **المسلمون في الأندلس**، 162/3).

4- ابن الخطيب، **الإحاطة**، 109/1 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بيروت، ط5، 1998م، 69/4.

5- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 154/1.

6- **الحُلل الموشيَّة**، ص91 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 109/1 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، 69/4.

7- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 154/1.

والزيتون وغيرها، ووصفوا له عيونها وأنهارها الغزيرة، وما تمتاز به من حسن الموقع، وروعة العمارة، وكونها عاصمة الأندلس[1].

2- وقائع الغزوة:

غلبت كل هذه الإغراءات التي قدمها النَّصارى المعاهدون، نفس ألفونسو المحارب، ونسي ما كان يتصوره من صعوبة في تنفيذ هذا المشروع وما يحفه من دروب المغامرة، ومضى في القيام به دون أن يفكر في أنَّ القلاع الإسلاميَّة المتعددة في ولايتي بلنسيَّة ومرسيَّة سوف تُقدم حتمًا على طعنه من الوراء متى دخل ولاية غرناطة[2].

وعلى العموم شعر ألفونسو أنَّ الظروف ممهدة لاختراق الأندلس وتحقيق الغاية المنشودة فخرج من سرقسطة في أول شعبان 519هـ/1 سبتمبر 1125م[3] في أربعة آلاف فارس أراغوني مع أتباعهم من الرَّجالة والرُّماة[4]، وقيل في خمسة ألاف فارس وخمسة عشر ألف راجل[5]، وكان معه الكونت جاستون دى بيارن[6]، الذي اشترك في

1- **الحُلل الموشيَّة**، ص91 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 109/1 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، 69/4.

2- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 155/1.

3- **الحُلل الموشيَّة**، ص91 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، 69/4 ؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 155/1 ؛ دوزي، **المسلمون في الأندلس**، 163/3. (أخطأ ابن الخطيب حينما قال أنَّ ألفونسو المحارب بدأ غزوته في أول شعبان عام 515هـ/14 أكتوبر 1121م). (انظر: **الإحاطة**، 109/1).

4- **الحُلل الموشيَّة**، ص91 ؛ دوزي، **المسلمون في الأندلس**، 163/3.

5- ابن عذارى، **البيان المغرب**، 69/4. (اكتفى ابن الأثير بقوله خرج ألفونسو المحارب في عساكر كثيرة). (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، 235/9).

6- يذكر أشباخ وعنان أنَّ ألفونسو المحارب عندما استولى على سرقسطة بصفة نهائية كافئ الكونت جاستون دى بيارن الذي أعانه كثيرًا لتحقيق نصره هذا على المرابطين، وأعطاه حي سرقسطة الذي يقطنه النَّصارى المعاهدون من قبل، وأنعم عليه بلقب سيد سرقسطة، وعهد إليه بالإشراف على توزيع الغنائم على الجند. (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 151/1؛ **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص101).

حملة سرقسطة، وفي ركبه عدد من رجال الدِّين في مقدمتهم أسقفا سرقسطة ووشقة[1]، وقد تعاقدوا وتحالفوا جميعًا بالإنجيل أنَّه لا يفر أحد منهم عن صاحبه[2]، وأقسموا أن ينتصروا أو يموتوا[3]، وهكذا كانت للحملة طابعها الصَّليبي الذي طبع سائر الغزوات والحملات النصرانية منذ حصار سرقسطة[4].

وسار ألفونسو بجيشه الضَّخم إلى شرق الأندلس، واخترق أراضي لاردة وإفراغة[5] وعاث فيها، ثمَّ انحرف جنوبًا ودخل أراضي بلنسيَّة يوم الثلاثاء 20 رمضان 519هـ/20 أكتوبر 1125م وهو ينسف الزروع ويحرق القرى[6]، وقاومته قوة مرابطية بقيادة أبو عبد الله يدر بن ورقاء[7]، وكان من الصعب أن تجتمع القوَّات المرابطيَّة

1- عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب - القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص108.

2- **الحُلل الموشيَّة**، ص91 ؛ دوزي، **المسلمون في الأندلس**، 163/3.

3- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 155/1.

4- عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب - القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص108.

5- مدينة تقع أقصى شرق الأندلس، من أعمال لاردة وهي بالغرب منها، بينهما ثمانية عشر ميلًا، لها حصن منيع، وهي حسنة البناء وكثيرة الزيتون والبساتين التي لا نظير لها. (انظر: الإدريسي، **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1983م، ص261 ؛ الحموي، **مُعجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م، 227/1 ؛ الحِميري، **الرَّوضُ المعطار في خبر الأقطار**، حقَّقه إحسان عبَّاس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص48-49). (انظر أيضًا: **الملحق المرفق بالمقال، وهو عبارة عن خريطة لبلاد الأندلس**).

6- ابن عذارى، **البيان المغرب**، 69/4-70 ؛ عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب - القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص108. (يذكر أشباخ أنَّ ألفونسو المحارب لم يقف لحصار بلنسيَّة، بل اخترق الولايات الإسلاميَّة القريبة منها والمؤدية لها وهو يثخن فيها وينتسف حقولها). (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 155/1).

7- اختلفت تسميته لدى المؤرخين، فقد جاء عند ابن القطان باسم يدر بن ورقاء، وعند صاحب مفاخر البربر باسم أبو عبد الله يدر بن ورقاء، وعند ابن الخطيب باسم يدِّير بن ورقا، وسماه صاحب

للوقوف في وجهه لأنَّه حرص على إخفاء وجهته الحقيقية ولبث طول الوقت متحركًا في قواته لكي لا تترصده الأعين[1].

وفي تلك الأثناء وصلت إلى جيش ألفونسو أعداد كبيرة من النَّصارى المعاهدين، وكانوا يدلونه على الطريق، ويكشفون له مواطن الضعف لدى المسلمين[2]، وعندما غادر بلنسيَّة اتجه إلى جزيرة شقر، فقاتلها أيامًا ولم يستطع الاستيلاء عليها، ثمَّ رحل منها إلى دانية وقاتلها ليلة عيد الفطر سنة 519هـ/1125م، واستمر في مسيره مخترقًا شرق الأندلس مرحلةً مرحلةً، ومنزلةً منزلةً، يشن الغارات على كل قطر يمر به[3]، وقد مرَّ على شاطبة ووصل إلى مرسيَّة[4]، ثمَّ اجتاز إلى المنصورة[5]، ثمَّ بُرْشانة، ثمَّ حلَّ بوادي

الحُلل الموشيَّة الشَّيخ أبو محمَّد بدر بن ورقاء، وابن عذارى محمَّد بن يوسف يدر؛ كان واليًا على بلنسيَّة في سنة 519هـ/1125م حينما مرت بالقرب منها جيوش ألفونسو المحارب خلال غزوته الكبرى على الأندلس، ويبدو أنَّ عمل مرسيَّة أضيف إليه بعد ذلك، ويذكر ابن عذارى أنَّه توفي سنة 524هـ/1129م وهو على عمل بلنسيَّة. (انظر: **نُظُمُ الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزَّمان،** درسه وقدَّم له وحقَّقه محمود علي مكيّ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م، 6/152-153 ؛ **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطِّباعة والنَّشر، الرباط، ط1، 2005م، ص192 ؛ **الإحاطة**، 4/344 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص91 ؛ **البيان المغرب**، 4/81).

1- ابن الخطيب، **الإحاطة**، 1/109 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، 4/69 ؛ عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص108.

2- **الحُلل الموشيَّة**، ص91-92.

3- **الحُلل الموشيَّة**، ص92. (يقول أشباخ أنَّ ألفونسو كان يغدو على المسلمين أشد نكاية وضرًا). (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 1/155).

4- **الحُلل الموشيَّة**، ص92. (يذكر عنان أنَّ جيش ألفونسو قبل وصوله إلى مرسيَّة مرَّ على مدينتي ألش وأوريولة). (انظر: **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص108).

5- **الحُلل الموشيَّة**، ص92. (يذكر ابن الخطيب أنَّه قبل وصوله للمنصورة مرَّ على مدينة بيرة). (انظر: **الإحاطة**، 1/109).

تاجلة[1] ومكث بها ثمانية أيام، ثمَّ اتجه إلى مدينة بسطة وحاول الاستيلاء عليها لكونها في بسيط من الأرض، ولضعف تحصينها، ولكنه لم ينجح في إحكام السيطرة عليها، ثمَّ توجه إلى مدينة وادي آش ووصل إليها في اليوم الأوَّل من شهر ذي القعدة سنة 519هـ/28 نوفمبر 1125م[2] وقاتلها أيامًا[3] ولكنه لم ينل منها مأربًا[4].

ثمَّ اتجه صوب غرناطة[5] بجيشه الضَّخم الذي بلغ خمسون ألفًا[6]، ولمَّا اقترب منها افتضح أمر النَّصارى المعاهدين لدى المرابطين، حيث أدركوا أنَّهم قاموا باستدعاء ملك أراغون ألفونسو المحارب للاستيلاء على غرناطة، وقد همَّ الأمير تميم

1- **الحُلل الموشيَّة**، ص92. (ورد عند ابن الخطيب بلفظ وادي ناطلة، ولم نعثر على تعريف له في المصادر التاريخية والجغرافية). (انظر: **الإحاطة**، 109/1).

2- **الحُلل الموشيَّة**، ص92-93. (غير أنَّ ابن عذارى يقول أنَّ جيش ألفونسو المحارب وصل إلى مدينة وادي آش في يوم 20 شوال سنة 519هـ/18 نوفمبر 1125م). (انظر: **البيان المغرب**، 70/4).

3- يذكر صاحب الحُلل الموشيَّة أنَّ ألفونسو المحارب توجه بجيشه من وادي آش إلى السند ومكث بها يومًا يكمن فيها الكمائن، ثمَّ نزل بقرية فنيانة الواقعة جنوب شرق وادي آش وقاتلها من جهة الغرب، وأقام عليها نحو شهرين. (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص93).

4- يقول ابن الخطيب وابن عذارى أنَّ ألفونسو المحارب نزل بالقرية المعروفة بالقصر (Alcazar) والتي تبعد عن وادي آش بفرسخ وأقام بها شهرًا، حاول خلاله الاستيلاء على مدينة وادي آش ولكن دون جدوى. (انظر: **الإحاطة**، 109/1-110 ؛ **البيان المغرب**، 70/4).

5- ينقل لنا صاحب الحُلل الموشيَّة وابن الخطيب هذه المعلومات الهامَّة عن بقية هذه الغزوة من كتاب الأنوار الجليَّة في أخبار الدَّولة المرابطيَّة، لأبي بكر بن الصَّيرفي كاتب الدَّولة المرابطيَّة ومؤرخها، وهو كتاب مفقود للأسف الشديد. (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص93 وما بعدها ؛ **الإحاطة**، 110/1 وما بعدها).

6- **الحُلل الموشيَّة**، ص94. (يذكر أشباخ أنَّه أثناء هذه الغزوة كان جيش ألفونسو المحارب يزداد يومًا بعد يوم بانضمام النَّصارى المعاهدين إليه، حتَّى أصبح زهاء خمسين ألف مقاتل). (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 155/1).

باعتقالهم ولكنه لم يتمكن من ذلك[1]، حيث تسلل المعاهدون من كل صوبٍ إلى محلة الغزاة الذين عسكروا في قرية دِجمة التي تقع بين مدينة وادي آش وغرناطة[2].

وكان الأمير المرابطي تميم على أهبة الاستعداد حيث حشد سائر قوَّاته، والتحقت به قوَّات من مرسيَّة وبلنسيَّة[3]، وأمده أمير المسلمين علي بن يوسف من المغرب بجيش وافر، وقد أحاطت هذه الجيوش المرابطيَّة بغرناطة حتى صارت كالدائرة، وصارت المدينة في وسطها كالنقطة[4]، وانتظرت هذه الجيوش التي صلت صلاة الخوف يوم عيد الأضحى سنة 519هـ/6 جانفي 1126م[5]، مَقْدَم جيش ألفونسو المحارب الذي كان معسكرًا بالقرب من غرناطة[6] فارضًا حولها الحصار شاعرًا بقوته وتفوقه[1].

1- **الحُلل الموشيَّة**، ص93 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 110/1 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، 70/4. (بالرغم من عدم تمكن الأمير تميم من اعتقال نصارى غرناطة المعاهدين الذين ثبتت خيانتهم، إلَّا أنَّ أشباخ يُشيد بذكائه في تعامله معهم، حيث قال بأنَّه كان رجلًا وافر العزم فاستطاع بالرغم من صغر حاميته أن يرهبهم، ويشدد الرقابة عليهم، ويحول دون ثورتهم داخل المدينة). (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 155/1).

2- سماها صاحب الحُلل الموشيَّة وابن الخطيب قرية دِجمة (Diezma) أو رثمة، وجاءت عند ابن عذارى باسم بربيطة، وقال أنَّ ألفونسو المحارب عسكر بها يوم عيد الأضحى. (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص93-94 ؛ **الإحاطة**، 110/1 ؛ **البيان المغرب**، 70/4).

3 - ابن عذارى، **البيان المغرب**، 70/4. (غير أنَّ عنان يقول أنَّ القوَّات التي التحقت بمعسكر الأمير تميم هي قوَّات مرسيَّة وإشبيليَّة). (انظر: **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب - القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص110).

4- **الحُلل الموشيَّة**، ص93 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 110/1.

5- انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص94 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 110/1 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، 70/4.

6- يذكر صاحب الحُلل الموشيَّة نقلًا عن كتاب الأنوار الجليَّة في أخبار الدَّولة المرابطيَّة لابن الصَّيرفي، العديد من القرى التي انتقل إليها جيش ألفونسو المحارب قبل وصوله لغرناطة حيث قال تحرك من وادي آش، فنزل بقرية دِجمة ثمَّ نزل بوادي فردش (عله يقصد قرية فرتونة) في يوم عيد الأضحى، وأقلع منها إلى المزوقة (المزونة) ومنها برز إلى غرناطة، ونزل بقرية النبيل (Navac) وبها أقام عشر ليالي ينتظر توقف المطر والجليد. (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص94).

وعندما تقدَّم جيش ألفونسو صوب غرناطة، وعلى فرسخين منها نشب القتال بينه وبين جيش المرابطين، ولكن رداءة الطقس وما اقترن بها من أمطار وعواصف ثلجية حالت دون مواصلة القتال[2]، فبقي ألفونسو محاصرًا لغرناطة حوالي عشرة ليالي دون قتال بسبب الأمطار والجليد[3] وكانت خيول المسلمين تروحوا وتغدوا عليه دون مناوشة[4]، وكان النَّصارى المعاهدون يمدونه بالأقوات والمؤن[5]، ورغم ذلك قام بإلقاء اللوم عليهم واتهمهم بالتَّقاعس وعدم الوفاء بما التزموه من عهود، وكان يلقي اللوم بالخصوص على زعيمهم ابن القلَّاس، فرد عليه اللوم، واحتج ببطئه في المجيء إلى غرناطة حتَّى تلاحقت الجيوش المرابطيَّة، وأنَّهم قد أضحوا عرضةً للهلاك على يد المسلمين[6].

وحينما أدرك ألفونسو عدم جدوى حصار غرناطة، لِما لمسه من كثرة الجيوش المدافعة عنها بقيادة الأمير تميم بن يوسف[7]، أقلع عنها وتخلى عن حصارها يوم 26

1- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 155/1.

2- ابن الخطيب، **الإحاطة**، 110/1 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص94. (يصف ابن عذارى الحالة السيئة لأهل غرناطة آنذاك، حيث قال "وانقطعت السابلة والواردة، وقلت المرافق وتزاحم النَّاس في المدينة، وسكنوا المساجد والمصاطب والرحاب والخراب، وكثر الجزع والإرجاف والموَّجان بالليل والنَّهار، وتوالت الأمطار وسالت الطرق وضاقت النفوس أشد ضيقة). (انظر: **البيان المغرب**، 70/4-71).

3- ابن الخطيب، **الإحاطة**، 110/1 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص94 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، 71/4. (يقول أشباخ أنَّ جيش ألفونسو وبسبب رداءة الطقس اضطر أثناء حصاره لغرناطة إلى إضاعة بضعة أسابيع لم يوفق فيها إلى شيء). (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 155/4-156).

4- ابن عذارى، **البيان المغرب**، 71/4.

5- **الحُلل الموشيَّة**، ص94 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، 71/4 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 110/1.

6- ابن عذارى، **البيان المغرب**، 71/4 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 110/1.

7- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 156/1 ؛ عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص111.

ذي الحجة عام 519هـ/22 جانفي 1126م[1] واتجه صوب قرية مرسانة[2] ، ثمَّ مرَّ بالعديد من القرى[3]، وكانت الجيوش المرابطيَّة تلاحقه وتناوشه في معارك صغيرة[4]، إلى أن وصل إلى فحص أرنيسول[5]، وكانت قوَّات إشبيليَّة بقيادة واليها الأمير "أبي بكر بن علي بن يوسف" قد وصلت إلى غرناطة وأقامت بها يومًا، ثمَّ تحركت مع الجيوش الملاحقة لقوَّات ألفونسو المحارب في فحص أرنيسول، وقد وقعت هناك معركة ضارية بين الفريقين في 13 صفر 520هـ/9 مارس 1126م[6] كان فيها الظهور في

1- يذكر ابن الخطيب أنَّ ألفونسو المحارب أقلع عن غرناطة يوم 26 ذي الحجة عام 520هـ/21 جانفي 1127م، وأعتقد بأنَّه أخطأ في التَّاريخ بزيادة سنة، وبالعودة إلى ابن عذارى، وبالنَّظر إلى سيروة الأحداث نستنتج أنَّه أقلع عن غرناطة في يوم 26 ذي الحجة عام 519هـ/29 جانفي 1126م. (انظر: **الإحاطة**، 111/1 ؛ **البيان المغرب**، 70/4-71).

2- جاءت عند ابن الخطيب وصاحب الحُلل الموشيَّة باسم مرسانة (Maracena) بينما سماها البكري والإدريسي مرشانة (Merchena) وهي قرية تابعة لمدينة بجانة القريبة من غرناطة والتي تقع في الشرق منها. (انظر: **الإحاطة**، 110/1 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص94 ؛ **جغرافية الأندلس وأوروبَّا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق عبد الرَّحمان علي الحجي، دار الإرشاد للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ط1، 1387هـ/1968م، ص64 ؛ **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس**، ص258).

3- مرَّ ألفونسو المحارب بجيشه من قرية مرسانة إلى فحص أرنيسول بالعديد من القرى، أوردها كلٌّ من ابن الخطيب وصاحب الحُلل الموشيَّة مع بعض الاختلافات بينهما في تسمية هذه القرى. (انظر: **الإحاطة**، 111/1 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص94-95).

4- ابن عذارى، **البيان المغرب**، 71/4 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 111/1 ؛ عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص111.

5- يذكره ابن الأثير وابن عذارى على أنَّه حصن أرنيسول، وسماه صاحب الحُلل الموشيَّة أرنيسول بدون كلمة حصن، بينما قال عنه ابن الخطيب أنَّه فحص وليس حصن وهو يسمى الرَّنيسول، وجاء عند دوزي باسم أرنزول، وهو موضع يقع جنوبي غرناطة يعرف حديثًا باسم (Arensol) أو (Aranzuel). (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، 235/9 ؛ **البيان المغرب**، 71/4 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص95 ؛ **الإحاطة**، 111/1 ؛ **المسلمون في الأندلس**، 163/3).

6- ابن عذارى، **البيان المغرب**، 71/4.

البداية للمسلمين ثمَّ انهزموا في نهاية المعركة[1]، وتختلف الرِّوايات الإسلاميَّة والنَّصرانيَّة في سرد وقائع المعركة وكيفية انهزام المسلمين.

ففيما يخص الرِّواية الإسلاميَّة فإنَّها تذكر أنَّه عندما بدأت تغرب الشمس وبدأ يرخي اللَّيلُ سدوله، أمر الأمير تميم أن ينقل خبائه (خيمته) من مكان منخفض إلى ربوة مرتفعة[2]، فاختل الأمر وظنَّ الجيش أنَّه ينوي الانسحاب فأخذوا في الفرار، فكشف النَّصارى وقوع هذا الاضطراب، وفي الغد هجم جيش ألفونسو على محلة المسلمين واستولوا عليها ووقعت الهزيمة عليهم[3].

وهناك رواية أخرى لصاحب الحُلل الموشيَّة حيث ذكر أنَّ جيش ألفونسو انهزم في أول النهار، وفي وقت الظهر لبس ألفونسو درعه وعبأ جيشه واستعد للقتال، حيث عقد أربعة ألوية، وقسمهم على أربعة فرق، فحملوا على المسلمين وهزموهم هزيمةً شنيعةً[4].

أمَّا الرِّواية النصرانيَّة فهي تختلف في سرد وقائع المعركة، حيث يذكر أشباخ أنَّ المسلمين استطاعوا تحقيق النَّصر في البداية، حيث انقضوا على مقدمة النَّصارى وألجئوها إلى الفرار واعتقدوا أنَّهم بذلك هزموا الجيش النَّصراني كله، وبينما شغلوا باقتسام الغنائم الثَّمينة، إذ انقض ألفونسو على صفوف المسلمين الناهبة، انقضاض النِّسر من الجو ومزقها تمزيقًا، واسترد الغنائم المفقودة، واحتوى على أسلابهم وطاردهم حتَّى حلول الظلام[5].

1- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، 235/9 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص95 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 111/1؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، 71/4.

2- يبدوا أنَّ غرض الأمير تميم من نقل خبائه من موضع منخفض إلى مكان عالٍ هو مراقبة جيش العدوِّ الذي مازال بالقرب من غرناطة يتحين الفرص للانقضاض على المسلمين.

3- ابن الخطيب، **الإحاطة**، 111/1 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، 71/4-72.

4- **الحُلل الموشيَّة**، ص95.

5- **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 156/1. (يلاحظ اختلاف في وقائع المعركة بين هذه الرِّوايات ولكنها تتفق في كون المسلمين انتصروا في بداية المعركة وانهزموا في آخرها).

ثمَّ اتجه ألفونسو بعد انتصاره هذا بقوَّاته نحو الجنوب الشرقي للأندلس دون أن يزعجه أحد[1]، واخترق جبال سييرًّا نيفادا[2]، وانحدر إلى الشاطئ نحو وادي شلوبانية العميق[3]، ثمَّ سار غربًا نحو مدينة بلِّش بمالقة[4]، وأنشأ مركبًا صغيرًا يصيد له حوتًا، وأخذ يتلهى بصيد السمك على مبلغ ما حقق من نذره[5]، ويبدو أنَّ ألفونسو أراد أن يخلد عنه هذا الفعل ويروي فيما بعد أنَّ ملكًا من ملوك أراغون خرج من سرقسطة وترك وراءه كثيرًا من أراضي المسلمين، وقام بصيد السمك على الشاطئ المقابل لبلاد المغرب كما يفعل في بلاده[6].

ومن هناك عاد ألفونسو أدراجه إلى غرناطة وانضم إلى جيشه الكثير من النَّصارى المعاهدين، بلغ تعدادهم اثنا عشر ألفًا[7]، وقد فرَّ هؤلاء من مواطنهم خوفًا من انتقام

1- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 156/1.

2- يسميه عنان جبل الثلج. (انظر: **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص112). (عن موقع هذه الجبال. انظر أيضًا: **الملحق المرفق بالمقال، وهو عبارة عن خريطة لبلاد الأندلس**).

3- يذكر ابن الخطيب أنَّ ألفونسو المحارب عندما وصل إلى وادي شلوبانية العميق، نظر فيه وقال بلغته "أيُّ قَبْرٍ هذا لو ألفينا من يَصُبُّ علينا التراب". (انظر: الإحاطة، 112/1).

4- عن خط سير غزوة ألفونسو المحارب للأندلس، ووصوله حتى مدينة بلش بالساحل الجنوبي الشرقي. (انظر: **الملحق المرفق بالمقال، وهو عبارة عن خريطة توضح ذلك**).

5- يذكر صاحب الحُلل الموشيَّة وابن الخطيب أنَّ ألفونسو المحارب عندما قام باصطياد السمك في البحر الرُّومي (البحر الأبيض المتوسط) وكأنَّه حقَّق بهذا العمل نَذْرٌ كان عليه، وفَّى به، أو حديثٌ أراد أن يُخَلَّد عنه. (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص96 ؛ **الإحاطة**، 112/1).

6- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 156/1.

7- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 156/1. (غير أنَّ دوزي يقول أنَّ عدد النَّصارى المعاهدين الذين التحقوا بقوَّات ألفونسو هو عشرة آلاف، حيث هربوا حسب زعمه من الغضب الجنوني للمرابطين، وطلبوا من ألفونسو أن يأذن لهم بالإقامة في رحاب مملكته فاستجاب لهم). (انظر: **المسلمون في الأندلس**، 163/3).

المسلمين منهم بسبب خيانتهم[1]، ووقعت بالقرب من غرناطة معركة شديدة بينه وبين المسلمين[2]، ولمَّا أدرك أنَّه لا يستطيع أخذ المدينة المحصنة دون حصار طويل، وأنَّ قوَّات المسلمين تزداد يومًا بعد يوم اتجه صوب مدينة وادي آش[3]، وقد أصيب كثير من عسكره بجراح بليغة خلال المناوشات العديدة التي وقعت بينه وبين المسلمين[4]، كما أصابه أيضًا الوهن والتعب جراء قسوة الطقس، والسير الشاق فوق الربا العالية، وكذلك تفشي الأمراض الوبائية[5]، ومن مدينة وادي آش عاد الجيش الأراغوني مخترقًا مرسيَّة وشاطبة وبلنسيَّة إلى بلاده[6]، وفرسان المرابطين تلاحقه باستمرار[7]، وتنقض

1- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 157/1 ؛ عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص112.

2- ابن الخطيب، **الإحاطة**، 112/1 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، 72/4 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص96.

3- قبل وصول ألفونسو المحارب إلى مدينة وادي آش مرَّ عبر العديد من القرى والمدن. (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص96 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 112/1-113). (ويذكر أشباخ أن ألفونسو المحارب ترك على مقربة من مدينة وادي آش قسمًا من جيشه في إحدى القلاع لكي يحمي خط رجعته). (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 157/1).

4- ابن الخطيب، **الإحاطة**، 112/1. (يقول ابن عذارى أنَّ حامية مرابطية اشتبكت مع قوَّات ألفونسو المحارب بالقرب من مدينة وادي آش فألحقت به الهزيمة، وقد فقد خلالها عددًا كثيرًا من جنده، وأصيب له زعيم كبير). (انظر: **البيان المغرب**، 72/4).

5- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 157/1.

6- عن خط عودة ألفونسو المحارب من غزوته هذه. (انظر: **الملحق المرفق بالمقال، وهو عبارة عن خريطة توضح ذلك**).

7- يقول ابن الخطيب وصاحب الحُلل الموشيَّة أنَّ قوات ألفونسو المحارب خلال عودتها هذه إلى أراغون، كان الوبال يسرع إليها. (انظر: **الإحاطة**، 113/1 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص96).

عليه في معارك صغيرة[1]، وقد وصل إلى بلاده منهك القوى فقد حطمه وجنده الوباء والوهن[2]، بعد أن غاب عنها زهاء تسعة أشهر وقيل أكثر[3].

3- نتائج الغزوة:

بعد حوالي تسعة أشهر انتهت غزوة ألفونسو المحارب الكبرى والشاملة لأقطار الأندلس الشَّرقيَّة والجنوبيَّة، واستطاع المسلمون في آخر المطاف وبعد جهد جهيد التصدي لها، وقد اختلف المؤرخون في تقييمها، فمنهم من يرى أنَّها كانت ناجحة بالنسبة للنَّصارى وملكهم ألفونسو حيث حقَّق خلالها العديد من المكاسب، ومنهم

1- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 157/1. (يذكر ابن عذارى أنَّ عساكر المرابطين كانت تلاحق ألفونسو وتطأ أذياله وتناوشه وتصيب منه، وكان يترك في كل منزل هلكى ومرضى حتى لحق بلاده مخترم الجمع مفلولًا). (انظر: **البيان المغرب**، 72/4).

2- ابن عذارى، **البيان المغرب**، 72/4 ؛ عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب - القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص112.

3- يقول صاحب الحُلل الموشيَّة أنَّ مدَّة هذه الغزوة كانت سنة وثلاثة أشهر، بينما يقول دوزي أنَّ مدتها كانت أكثر من عام، في حين يرى أشباخ أنَّ مدتها كانت ستة أشهر فقط، وأعتقد أنَّ مدتها كانت حوالي تسعة أشهر، وهذا بالنظر إلى الوقائع والأحداث التي وقعت بهذه الغزوة. حيث بدأت عند خروج ألفونسو المحارب بجيشه من سرقسطة في أول شعبان 519هـ/1 سبتمبر 1125م، وقد وصل إلى غرناطة بعد حوالي ستة أشهر ونصف، واشتبك مع المرابطين في فحص أرنيسول في 13 صفر 520هـ/9 مارس 1126م، ثمَّ اتجه جنوبًا ووصل إلى البحر الرُّومي (البحر الأبيض المتوسط) واصطاد به، ثمَّ عاد إلى غرناطة واشتبك من جديد مع المرابطين، ثمَّ عاد أدراجه إلى بلاده مارًا على مدن شرق الأندلس. هذه الوقائع الأخيرة استغرقت حوالي ثلاثة أشهر فقط، لأنَّ طريقه من غرناطة إلى البحر لم تستغرق وقتًا طويلًا لأنَّها كانت آمنة، ولم يعترض سبيله أي جيش مرابطي، وكذلك عودته إلى غرناطة، على اعتبار أنَّ الجيش المرابطي كان معسكرًا في غرناطة يدافع عنها، كما أنَّ عودته من غرناطة إلى عاصمة مملكته سرقسطة تمت بسرعة فائقة رغم ما أصاب جيشه من وهن وتعب، لأنَّ الجيش المرابطي كان يلاحقه باستمرار ويشتبك معه في معارك صغيرة، وبوضع جميع هذه الوقائع والأدلة في الحسبان يُرجح أنَّ هذه الغزوة كانت مدتها حوالي تسعة أشهر). (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص97 ؛ **المسلمون في الأندلس**، 163/3 ؛ **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 157/1).

من يرى أنَّها غزوة فاشلة ولم تحقق أي شيء يذكر للنصارى، بل على العكس تمامًا المسلمون هم من حقَّق بعض الامتيازات، ومنهم من يرى أنَّها فشلت ولكنها حققت بعض المزايا للنصارى، ونستعرض فيما يلي هذه الآراء.

صاحب الحُلل الموشيَّة يرى أنَّ ألفونسو المحارب كان يفخر بما ناله في غزوته من المسلمين وفتكه لبلادهم، وكثرة ما أَسِرَ وغَنِمَ، مع أنَّه لم يستولي على مكانًا مسورًا صغيرًا ولا كبيرًا، إلَّا أنَّه أخلى ديار بادية الأندلس[1].

ويرى أشباخ أنَّها كانت حملة ناجحةً، بالرغم من عدم استيلاء ألفونسو على أية مدينة من مدن المسلمين، إلَّا أنَّ النَّصارى أوقعوا بالمسلمين أضرارًا فادحة، وبثوا بينهم الذعر والروع، وحصلوا منهم على غنائم عظيمة[2].

ويضيف أشباخ أنَّه لو تلقى ألفونسو المحارب ملك أراغون تأييد القشتاليِّين والليونيون في غزوته هذه، بتوجيه جندهم ضدَّ مسلمي بلنسيَّة وقرطبة، وتأيِّيد البرتغاليون والجليقيون بتوجيه جندهم ضدَّ مسلمي إشبيليَّة، ومع معونة النَّصارى المعاهدين وقلة الإمداد التي عان منها المرابطون بانشغالهم بثورة الموحِّدين، لحقق ألفونسو نصرًا مؤزرًا على المرابطين، ولكان من المحقق بوجه عام أفول دولة الإسلام في الأندلس في تلك الآونة[3].

وقد بالغ أشباخ في التباهي بهذه الغزوة، حيث قال أنَّه بوسعنا مقارنة هذه الغزوة التي قام بها ألفونسو المحارب بجيشه القليل، بغزوة الإغريق في عشرة آلاف مقاتل فقط لمملكة الفرس، وإذا كان ثمة فرق في المسافة فإن الجرأة في المشروعين واحدة حسب زعمه[4].

ويرى دوزي أنَّ هذه الغزوة بالرغم من أنَّها ظلت تعيث فسادًا وتخريبًا في الأندلس مدَّة طويلة، وأنَّها تقدمت حتَّى طرقت أبواب قرطبة، وأنَّها انتصرت في

1- **الحُلل الموشيَّة**، ص96-97.
2- **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 157/1.
3- **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 158/1.
4- **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 157/1.

فحص أرنيسول انتصارًا رائعًا لكنها مع ذلك كله لم تحقق الهدف المنشود الذي سطرته، وهو الاستيلاء على غرناطة[1].

وأوافق رأي المؤرخ عنان حينما قال أنَّ ملك أراغون لم يحقق من وراء هذه الغزوة أية نتيجة عملية، حيث انتهت أغلب المعارك والمناوشات مع المرابطين إلى فشل مطبق[2].

ويرى المؤرخ سلامة محمَّد سليمان الهرفي أنَّ ألفونسو المحارب استفاد فائدة كبيرة من هذه الغزوة، فقد تعرَّف على معاقل ومدن الأندلس عن قرب، وعرف أماكن القوة والضعف فيها، واستطاع أن يوجد له عملاء دائمين من المعاهدين، وأن يكتسب أعدادًا منهم انضموا إلى جيشه، كما توصل إلى حقيقة هامَّة وهي أنَّ أفضل طريقة لطرد المسلمين من الأندلس هي إجلاؤهم على مراحل بانتزاع معاقلهم الواحد بعد الآخر[3].

وقد كشفت هذه الغزوة مخططات النَّصارى المعاهدين المليئة بالأحقاد والغدر والخيانة ومحاولتهم للقضاء على تواجد المسلمين بالأندلس، حيث قابلوا إحسان المسلمين بالإساءة وبالتالي يجب أن تتخذ في حقهم إجراءات رادعة، تَكْفُل قمع دسائسهم وعدوانهم بصورة خاصة، وقد قام القاضي أبو الوليد بن رشد الجد بالتَّكفل بهذه القضية[4]، حيث عبر البحر إلى المغرب في اليوم الأوَّل من شهر ربيع الأوَّل سنة

1- **المسلمون في الأندلس**، 163/3.

2- **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص112.

3- **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين**، ص232.

4- اقترح القاضي ابن رشد الجد أيضًا خلال تواجده بالمغرب على الأمير المرابطي علي بن يوسف ضرورة بناء سور مدينة مرَّاكش، لأجل التَّحصين على نفسه وعلى النَّاس الساكنين معه، من خطر الموحِّدين الذي بدأ يستفحل أمرهم بقيادة ابن تومرت. (انظر: ابن عذارى، **البيان المغرب**، 73/4 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص90).

520هـ/26 مارس 1126م وقصد أمير المسلمين علي بن يوسف بمرَّاكش[1]، وأخبره على غدر هؤلاء ونقضهم للعهد وخروجهم عن الذِّمة، وأفتى بوجوب إجلائهم عن أوطانهم، وهو أخف ما يؤخذ به في عقابهم، فأخذ أمير المسلمين بهذه الفتوى وكتب بها إلى جميع بلاد الأندلس، فنفيت منهم في شهر رمضان 520هـ/أكتوبر 1126م[2] جموع غفيرة إلى مكناسة وسلا[3] وغيرهما من مدن بلاد المغرب[4]، وقد هلك كثير منهم[5]، حيث أنكرتهم الأهواء وأكلتهم الطرق[6] ونسفتهم الأسفار ونزل فيهم الوباء وفرقهم الله شذر مذر[7] وأحلَّ بهم عاقبة مكرهم وأذاقهم وبال أمرهم ولا يحيق الأمر

1- ابن الخطيب، **الإحاطة**، 113/1 ؛ سلامة محمَّد سلمان الهرفي، **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف**، ص230. (وقد استقبل الأمير علي بن يوسف، القاضي ابن رشد بحفاوة بالغة، وأكرمه غاية الإكرام). (انظر: ابن عذارى، **البيان المغرب**، 72/4 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص90).

2- ابن عذارى، **البيان المغرب**، 72/4-73 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 113/1-114.

3- يبدو أنَّ الدَّولة المرابطيَّة فكرت في الاستفادة من النَّصارى المعاهدين بإسكان قسم منهم في بعض المناطق الزراعيَّة بمدينتي مكناسة وسلا، لاستغلالها. (انظر: سلامة محمَّد سلمان الهرفي، **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف**، ص231-232).

4- **الحُلل الموشيَّة**، ص90-91. (يذكر المؤرخ عنان أنَّ التغريب لم يكن شاملًا، فقد بقيت جماعات من النَّصارى المعاهدين في غرناطة وقرطبة وغيرهما من مدن الأندلس، لأسباب مختلفة، ولكي تنمو وتزدهر مرةً أخرى، وقد زعم المستشرق دوزي أنَّ من بقي منهم في غرناطة صودرت أملاكهم، ولاقوا أسوأ ضروب المعاملة، فزَّج بالبعض منهم في السجون، ولقى الآخرون مصيرهم قتلًا). (انظر: **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب - القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص114 ؛ **المسلمون في الأندلس**، 163/3).

5- يرى أشباخ أنَّ سبب هلاك أكثرهم كان من جراء الطقس المتغير والماء الآسن، وتغير وسائل التغذية. (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 157/1).

6- ابن عذارى، **البيان المغرب**، 73/4 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 114/1 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص91.

7- ابن الخطيب، **الإحاطة**، 114/1 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، 73/4.

إلَّا بأهله[1]؛ وضمَّ أمير المسلمين منهم عددًا إلى حرسه الخاص، امتازوا فيما بعد بالإخلاص والبراعة[2].

كما كشفت هذه الغزوة حقيقة هامَّة تتمثل في أنَّ نظم الدِّفاع عن الأندلس لم تكن يومئذ وفق ما يجب من المتانة والإحكام، وأنَّ خُطط القيادة المرابطيَّة منذ نكبة سرقسطة لم تكن كفيلة بردع عدوان الممالك النصرانية، ولم يكن أدل على هذه الحقيقة من أنَّ ملكًا من ملوك النَّصارى استطاع أن يخترق الأندلس من الثغر الأعلى حتَّى شاطئ البحر المقابل لبلاد المغرب، دون أن تستطيع قوة إسلاميَّة مرابطيَّة أو غيرها أن تقف في سبيله[3].

خاتمة

في ختام بحثي هذا توصلت للعديد من النتائج أهمها:

- ت-َدْخُل هذه الغزوة ضمن ما يُعرف بحروب الاسترداد في الأندلس، فهي حرب صليبية هدفها محاربة المسلمين، تحالفت فيها السلطة السياسية ممثلة في مملكة أراغون والسلطة الدينية ممثلة في القساوسة والرهبان النصرانيِّين.

- ملك أراغون ألفونسو المحارب في غزوته هذه كانت له جرأة وشجاعة كبيرة حينما شقَّ الأندلس من الشمال إلى الجنوب، ولم يفعل هذا قبله أي أحد من ملوك النَّصارى سوى ألفونسو السَّادس ملك قشتالة حينما انطلق هو الآخر في غزوة كبرى من شمال الأندلس بالتحديد من طليطلة إلى جنوبه حيث وصل إلى شبه جزيرة طريف وهذا قبل معركة الزَّلاقة سنة 479هـ/1086م.

1- ابن عذارى، **البيان المغرب**، 73/4.

2- عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب - القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص114. (ويقول أشباخ في هذا الشأن أنَّ أسعد هؤلاء النَّصارى المنفيون إلى بلاد المغرب حظًا أولئك الذين ضمهم الأمير علي إلى حرسه الخاص، فقد استطاعوا بإخلاصهم الفائق أن يغتنموا وافر عطفه وثقته). (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 157/1).

3- عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب - القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص113.

- السبب الرئيسي لهذه الغزوة الكبرى، هُم النَّصارى المعاهدون خاصة أهل غرناطة، فهم من شجَّع ملك أراغون على حرب المسلمين، فثبتت بذلك خيانتهم للمسلمين الذين أحسنوا لهم وتركوهم يعيشون في أمن وسلام.

- لم يقف الجيش المرابطي موقف المتفرج في هذه الغزوة، بل جهز جيشًا بقيادة الأمير تميم تمكن من خلاله من التَّصدي لجيش ألفونسو المحارب ومنعه من دخول الكثير من المدن، وهزمه في بعض المعارك المتفرقة والتي كلفته خسائر كثيرة في الأرواح والمعدات.

- طالت هذه الغزوة كثيرًا، إذ امتدت لحوالي تسعة أشهر، وخلَّفت انعكاسات عديدة على المسلمين في الأندلس، منها ما هو سياسي مثل تضعضع مكانة دولة المرابطين في الأندلس، ومنها ما هو اقتصادي بتدمير وحرق بعض المدن والقرى التي شملتها هذه الغزوة في شرق وجنوب الأندلس، فخسر النَّاس بيوتهم ومتاعهم ومواشيهم ومزارعهم. ومنها ما هو اجتماعي مثل انتشار الفقر والعوز ولو على نطاق ضيق، وترمل النساء، وتيتم الأطفال بسبب مقتل آبائهم في هذه الغزوة.

- الجانب الإقتصادي لدى الطرفين هو الأكثر تضررًا في هذه الغزوة، خاصة لدى المسلمين لأن رحى المعارك جرت في أراضيهم.

- رغم ما خلفته هذه الغزوة من دمار في بعض مدن الأندلس الشرقية والجنوبية، إلَّا أنَّها فشلت في تحقيق أهدافها في آخر المطاف، والمتمثلة أساسًا في الاستيلاء على المدن الإسلامية خاصة غرناطة.

- أصدر الفقهاء فتوى بنفي النصارى المعاهدون خارج غرناطة، بسبب خيانتهم للمسلمين، فتم نفي أعداد كثيرة منهم لبلاد المغرب.

توصيات: أوصي بما يأتي:

- ضرورة الاهتمام بتاريخ الأندلس، وإبراز جهاد المسلمين ضد الممالك النصرانية، هذا الجهاد الذي يُعرف عند النصارى باسم حروب الاسترداد.

- عدم الاكتفاء بدراسة المعارك المشهورة للمسلمين في الأندلس ضد النصارى، مثل معركتي الزلاقة والأرك، بل من الضروري تسليط الضوء على المعارك الأقل شهرة مثل هذه الغزوة التي تناولناها بالدراسة.

الملاحق:

ملحق عبارة عن خريطة توضح: خط سير غزوة ألفونسو المحارب الكبرى للأندلس (طريق الذهاب والعودة)

مأخوذة من: مجهول، **الحُلل الموشيَّة**، ص91 وما بعدها ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 109/1 وما بعدها ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، 69/4 وما بعدها؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، 155/1 وما بعدها ؛ عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِيَّة**، ص108 وما بعدها. – **بتصرف.**

المصادر والمراجع

- المصادر المُحقَّقة: (كتب التَّاريخ العام، التَّراجم والسِّير)

- ابن الأبَّار، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1260م): **الحُلَّة السِّيراء**، حقَّقه وعلَّق حواشيه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، ج2، 1985م.

- ابن الأثير، عز الدِّين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ/1232م): **الكامل في التَّاريخ**، دار صادر للطِّباعة والنَّشر، بيروت، مج9، 1966م.

- ابن الخطيب، لسان الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أحمد السليماني (ت 776هـ/1374م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حقَّق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، مج1، مج4، 1975م.

- ابن خلدون، عبد الرَّحمان بن محمَّد (ت 808هـ/1406م): **العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيَّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السُّلطان الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ج4، 2000م.

- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت 726هـ/1325م): **الأنيس المُطرِب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطِّباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

- ابن عذارى المراكشي (كان حيًا سنة 712هـ/1312م): **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بيروت، ط5، ج4، 1998م.

- ابن القطان المُرَّاكشي، أبو محمَّد حسن بن علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي (توفي في منتصف القرن السَّابع الهجري): **نُظُمُ الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزَّمان**، درسه وقدَّم له وحقَّقه محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج6، 1990م.

- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (كان حيًا أواخر القرن السَّادس الهجري): **تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، تحقيق أحمد مختار العبَّادي، مطبعة معهد الدِّراسات الإسلاميَّة، مدريد، 1971م.

- مجهول (مؤلف أندلسي من أهل القرن الثَّامن الهجري): **الحُلل الموشيَّة في ذكر الأخبار المرَّاكشيَّة**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرَّشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م.

- مجهول (عاش في القرن الثَّامن الهجري): **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطِّباعة والنَّشر، الرباط، ط1، 2005م.

- المقَّري، أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني (ت 1041هـ/1631م): **نفحُ الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، ج1، ج4، 1988م.

- المصادر الجغرافيَّة:

- الإدريسي، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت 560هـ/1064م): **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1983م.

- البكري، أبو عُبيد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/1094م): **جغرافية الأندلس وأوروبَّا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق عبد الرَّحمان علي الحجي، دار الإرشاد للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ط1، 1387هـ/1968م.

- الحموي، شهاب الدِّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرُّومي البغدادي (ت 626هـ/1828م): **مُعجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ج1، 1399هـ/1979م.

- الحِميري، أبو عبد الله محمَّد بن عبد المنعم (توفي في منتصف القرن الثَّامن الهجري): **الرَّوضُ المعطار في خبر الأقطار**، حقَّقه إحسان عبَّاس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.

- المراجع العربيَّة:

- عنان محمَّد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثَّالث- عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990م.

- مؤنس حسين: **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النَّصارى سنة 512هـ/1118م، مع أربع وثائق جديدة**، مكتبة الثقافة الدِّينيَّة، مصر، 1413هـ/1992م.

- الهرفي سلامة محمَّد سلمان: **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين- دراسة سياسية وحضارية**، دار النَّدوة الجديدة، بيروت، 1985م.

- المراجع المُعربة:

- أشباخ يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ترجمة وتعليق محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ج1، 1996م.

- دوزي رينهرت: **المسلمون في الأندلس**، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، مصر، ج3، 1995م.

- كربخال مارمول: **إفريقيا**، محمَّد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، الرباط، ج1، 1984م.